

رموز التاريخ ودلالاتها في القصة الموجهة للطفل
– دراسة في قصة "كنز الكنوز" من المجموعة القصصية "أحلام
العصافير" لعبد الله لالي

**The symbols of history and their significance in the story
directed to the child**

**– a study in the story “The Treasure of Treasures” from
the story collection “Dreams of Birds” by Abdullah Lali**

الأستاذة: ليلى جغام،

كلية الآداب واللغات . جامعة محمد خيضر – بسكرة،

l.djegham@univ-biskra.dz

تاريخ القبول: 2023/01/22

تاريخ الاستلام: 2021/12/30

ملخص:

تسعى مقالتنا هذه إلى تسليط الضوء على نوع من القصص الموجهة إلى فئة خاصة من مجتمعنا، هي فئة الأطفال، وميزة هذه القصة أنها تعجّ بالرموز التاريخية، بمختلف صورها، ولا بدّ أنّ لهذه الرموز دلالات يرغب صاحب النص في إيصالها لمتلقيه الصغير، وهو لأجل ذلك يشتغل على طريقة معيّنة في توظيف هذا النوع من الرموز، وذلك ما سيتكشف لنا في ثنايا هذه المقالة وفق عدد من العناصر المكوّنة لنصّها كل بدوره ومقامه. الكلمات المفتاحية: الرمز، التاريخ، الطفل، الدلالة، كنز الكنوز.

Summary :

This article seeks to shed light on a kind of stories directed to a special category of our society the category of children, and the advantage of this story is that it is full of historical symbols, in their various forms . A certain way of employing this type of symbols, and that is what will be revealed to us in the folds of this article according to a number of elements that make up their text, each in its turn and its place .

Keywords: Symbol; History; Child; Signification; Treasure Treasures.

المؤلف المرسل: ليلي جغام، الإيميل: I.djegham@univ-biskra.dz

أولاً. مقدمة:

تتعلق مقالتنا هذه بدراسة لعمل من أعمال علم من أعلام الزيبان هو الكاتب عبد الله لالي، الذي نتناول مجموعته القصصية الموسومة بـ "أحلام العصفير"، وعلى الرغم من أنّ هذه الورقة البحثية ستنصب على قصة واحدة من هذه المجموعة القصصية إلا أنّها ستسلط الضوء على ما جادت به قريحة هذا المبدع من أبناء الزيبان.

وتتحدّد عناصر هذه المقالة في عرض ملخّص للقصة مدونة الدراسة، ثمّ إعطاء تعريفا مختصرا للرمز من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، بعدها الشخصيات التاريخية وآلية اشتغال الرمز في قصة "كنز الكنوز"، تليها مقاصد عبد الله لالي من هذا التوظيف، وختاماً أهم ما يمكن استخلاصه من هذه القصة.

ثانياً. مفاتيح المقالة**1. الكاتب عبد الله لالي في سطور⁽¹⁾:**

عبد الله لالي من مواليد 28 نوفمبر 1967 ببلدية شتمة ولاية بسكرة (عاصمة الزيبان)، درس وتحصّل على شهادة البكالوريا في الآداب والعلوم الإسلامية، ونال شهادة التعليم من المعهد التكنولوجي للتربية ببسكرة عام 1987.

يكتب القصة القصيرة والمقال الأدبي منذ أواسط الثمانينات، له العديد من الكتابات منها (مجموعة قصصية مشتركة بعنوان "ذاكرة عرائس الرمل" صدرت عام 1996 عن جمعية أضواء، وكتاب في الدراسات النقدية بعنوان "قراءات نقدية"، ومجموعتان قصصيتان هما "هو والفراشة" و "إشراقات الروح"، وكتاب في السيرة النبوية للأطفال بعنوان "هذا نبيك يا بني"، ورواية بعنوان "فتية القرية"، ورواية بعنوان "أحلام يوسف الدونكشوت" (...).

شارك عبد الله لالي في العديد من الأمسيات الثقافية والقصصية، ونشر قصصه ودراساته النقدية في عديد الصحف والجرائد الوطنية منها (المساء، النصر، المجاهد الأسبوعي، والتضامن، الوحده، الشروق الثقافي، النبأ، السبيل، الشعب، الجزائر اليوم، العقيدة، مجلّة قوافل السعودية ...).
قدّم عدّة برامج إذاعية بإذاعة الزيبان الجهوية، وأهمّها برنامج "الإعجاز العلمي في الإسلام" على مدى سبع سنوات، وهو عضو الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية وعضو هيئة تحرير مجلّتها "الخلدونية".
2. ملخّص قصّة "كنز الكنوز" (2) :

يتلخّص مضمون القصة في محاولة الشيخ إبراهيم الذود عن قلعته التي ورثها عن أجداده، حتى إذا كان ثمن ذلك روحه وأرواح أولاده وأحفاده، وخوفه الوحيد كان عن كنز الكنوز الذي سارع بتقديمه لأصغر أحفاده يعرب ومازيغ، وقام بمساعدتهما بالفرار عبر سرداب سري في مكتبة القلعة، بعد أن أوصاهما بوجوب الحذر، وضرورة الهروب بعيدا عن عيون الغزاة للمحافظة على كنز الكنوز وإيصاله إلى دار الأمان، وتسليمه يدا بيد لمن سيحفظه على الدوام .

وأثناء رحلتهما هذه التي دامت سنوات طويلة التقيا فيما عددا من الأشخاص، بداية من الشيخ صنهاج بن هلال في عمق الغابة الكثيفة، الذي ودّعهما بدوره، ليقوما بعدها برحلة إلى أكبر واحة في الجنوب، أين سيلتقيان بشيخ الصحراء والصبي "تاهاث"، الذي روى من علوم ذلك الكنز العظيم، وصار إماما لأبناء واحة، وأخذ عهدا على نفسه أن يعلم الأجيال وينير عقولهم بكنز الكنوز .

ليتجدّد بعدها سفر يعرب ومازيغ إلى واحة الغرب البعيد، ليجدا دليلا يوصلهما إلى مدينة الشرق الخضراء، وكان ذلك الدليل العجوز "أم عسكر"، التي كانت بانتظارهما تطبيقا لوصية والدها الذي مات وقيدتها

بها، وفي الطريق إليها اعترض طريقهما ثعبانا عظيما له قرون من نحاس وعيونا تشرق كالأماس، وجاء خلاصهما بفضل كنز الكنوز، وبعد مشقة وصلا إلى واحة الغرب ووجدوا العجوز "أم عسكر"، التي حكى لهما قصة المجاهد الشجاع "الأمير عبد القادر"، الذي تمكن من هزيمة الجنرال "بيجو" عدة مرات، ولكن الأعداء خدعوه وأوقعوا به .

وقامت العجوز "أم عسكر" بإرشاد يعرب ومازيغ إلى طريق مدينة الشرق الخضراء، أين سيجدا "عبد الحميد بن باديس"، وكانت قد حذرتهما من واد الأغوال والأهوال الذي سيمران عبره وصولا إليها، وتكرر الخطر من جديد حين اعترض طريقهما وسط الواد تنين عظيم، وكان كنز الكنوز سبب خلاصهما مرة أخرى بفضل كنز الكنوز من التنين الذي اعترض طريقهما في وسط الوادي، وأخيرا يصل يعرب ومازيغ إلى مدينة الشرق الخضراء، ويبحثان عن "عبد الحميد" الذي يلتقيان به صدفة في المسجد، فيقدمان له كنز الكنوز ويطلبان منه الحفاظ عليه، وحمايته من الأعداء .

3. أهم المضامين والقضايا في متن قصة "كنز الكنوز" .

إنّ قراءة متن قصة "كنز الكنوز" تتكشف عنها عديد القضايا والأفكار التي يتضمّن هذا المتن، وإمعان النظر أكثر يرشدنا إلى أهم هذه القضايا والأفكار التي نلخصها في النقاط الآتية :

- الإشارة إلى المستعمر الغاشم في لفظ "الغزاة" في بداية القصة، ليدلنا بطريقة ما إلى أنّ قصته هذه تتعلّق بحقبة تاريخية معينة هي مرحلة الاستعمار .

- عبارة "القلعة الحصينة" التي تتضمّن إشارة صاحب النص إلى قوة الجزائر وصلابتها

- عبارة "مكتبة القلعة"، وفيها إشارة إلى ما تتميز به الجزائر من رصيد علمي وثقافي متمثّل في علماءها ورجالاتها .
 - فكرة "الدفاع عن الأمانة ووجوب تأديتها إلى أصحابها"، والتي هي فكرة دينية حثّنا عليها ديننا الحنيف، وذلك وجه ديني مشرّف لشعبنا .
 - الحفيدين "يعرب ومازيغ" في إشارة إلى أصول الشعب الجزائري، وفي رابطة الأخوة بينهما وثيقة وقوة صلة بين أفراد هذا الشعب وهناك أفكار أخرى في القصة ذكرنا بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر .
2. مفهوم الرمز .

الرمز في اللغة يدور حول مفاهيم عديدة، أجملها الزبيدي بقوله⁽³⁾ :
« الرمز بالفتح ويضمّ ويحركّ : الإشارة إلى شيء ما، بيان بلفظ بأي شيء، أو هو الإيماء بأي شيء أشرت إليه بالشفّتين؛ أي تحريكهما بكلام غير مفهوم، باللفظ من غير إبانة بصوت، أو العينين، أو الحاجبين، أو الفم، أو اليد، أو اللسان، وهو تصويت خفي به كالهمس »⁽⁴⁾ .

ومصطلح الرمز بمعناه العام هو ما تعارف الناس على اعتباره رمزا لشيء ما، وهو يقابل اصطلاح الرمز بمعناه الخاص، وقد ذهب بعض الدارسين إلى اعتبار الرمز بمفهومه الخاص كل استعمال أو خلق جديد للرموز، ولكن ذلك فهم قاصر لهذه الثنائية، لأنّ هذا المفهوم - الرمز - تجاذبته علوم شتى، إذ يكتسب كل علم مفهوما محدّدا، لذلك جرى العرف على اعتباره عاما، انطلاقا من مفاهيمه المتعدّدة⁽⁵⁾ .

والرمز في الاصطلاح يكتسب معناه من واضعه، ووجب لفهمه وتفسيره وجود اتفاق خفي أو معلن بين واضع الرمز ومفسّره، سواء كان ذلك خاصا بالفرد أو الجماعة، وللرمز عادة مرجعية معيّنة في وضعه وفي تفسيره، لذلك وجب الاشتراك بين واضعه ومفسّره في معناه ومقصده .

ويشير عبد الله لالي كاتب المجموعة أنّ الرمزية في المسميات تكمن في أنّ « كل مسمى خاص سواء كان لأحد أبطال الرواية أو مصطلح من المصطلحات، أو مكان من الأمكنة، يلفت انتباه القارئ اليافع عندما يسمعه لأول مرة ويترك أثره الإيجابي في نفسه، سواء كان أثرا إيجابيا أو سلبيا، ولذلك الكاتب الناجح هو من يمرّر رسالته إلى القارئ من خلال هذه المسميات بحيث تحفر بصمتها في نفسه بعمق »⁽⁶⁾

والرمز في عرف النقاد والمتمرسين بالأدب أشكاله كثيرة ومتنوعة، مع خصوصية كل نوع في توظيفه وآليات اشتغاله عند أهل الاختصاص، ومن أشهر أنواعه (الرمز الديني، الرمز الصوفي، الرمز الأسطوري، الرمز التاريخي، الرمز الثقافي ...) .

ونحن في دراستنا هذه نركّز على نوع منه هو الرمز التاريخي، الذي نجده كثير الورود في قصّتنا مدونة الدراسة، وسعيا منا لتبيين أشكال توظيفه، ودلالات ذلك ومقاصده عند صاحب النص نحاول استقراء هذه الرموز التاريخية وكشف مواضعها في نص القصّة، وهذا ما سيأتي تفصيله في العناوين الآتية من هذه الورقة البحثية .

ثالثا. الشخصيات التاريخية وآلية اشتغال الرمز في قصّة "كنز الكنوز"

يتوزّع علم التاريخ والرواية على موضوعين مختلفين، يستنطق الأول الماضي، ويساءل الثاني الحاضر، وينتهيان معا إلى عبوة وحكاية، بيد أنّ استقرار الطرفين، منذ القرن التاسع عشر، في حقلين متغايرين لم يمنع عنهما الحوار، ولم ينكر العلاقة بين التاريخ والإبداع الأدبي⁽⁷⁾ . وذلك يعني أنّ لكل من التاريخ والرواية مجالا خاصا يستقرّ فيه، ويعمل ضمنه، وموضوعا يختصّ به ويرمي إليه، غير أنّ ذلك التفرد لكل منهما، وتلك الاستقلالية لم تمنعهما من التحوار والاستفادة من بعضهما في سبيل تحقيق كل منهما لوظيفته التي أنيط بها .

وفي مقابل الرواية نجدّ القصة، التي يمكن إسقاط ما ذكرناه عنها، على اعتبار كونها شكلا أدبيا لا يختلف كثيرا عن الرواية، إلا في طول الرواية وإسهابها في الأحداث، وكثرة الشخصيات مقارنة بالقصة، وقد عرف المبدع الجزائري « في فترة السبعينات وبعدها هذه الميزة الفنية، أي توظيف الرموز التاريخية التي تضم الرموز الدينية والتراثية والسير الشعبية وأسماء الشخصيات التي كان لها أثرا بارزا في تاريخ الإنسانية والأماكن التي اقترنت بأحداث عظيمة في التاريخ »⁽⁸⁾.

وما سبق يشير إلى أنّ القصة هي شكل روائي مصغّر، تشترك مع الرواية في كل عناصرها، وتختلف عنها فقط في قصرها وقلة شخوصها واقتضاب أحداثها، ولكونها كذلك أخذت من التاريخ ما تأخذ منه الرواية، واستفادت فائدتها، وكان للمبدع الجزائري لذلك أن يوظف ميزتها تلك، ومن بينها توظيف الرموز في سبيل إيصال مختلف رسائلها ومقاصدها لمتلقيها.

وما ذكر آنفا يصنع خلود النصوص، بالإضافة لاحتوائها الأدائي لمعطيات التاريخ ودلالات التراث التي تستدعيه وتخلصه من لحظته التاريخية وتنفخ فيه روح جديدة حسب المعطى الراهن والمدعى الإبداعي، فالأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإنّ لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى⁽⁹⁾.

فالرواية والقصة على حد سواء إذا استعاروا التاريخ في صورة الرمز (الرموز الدينية والتراثية والسير الشعبية وأسماء الشخصيات)، أفرغوها من حولتها الدلالية المرتبطة بزمن وقوعها، وحملوها حمولة أخرى تتجدد مع زمن توظيفها وتداولها، لتؤدي ما أرادوا منها حين ورودها في إبداعهم.

ونجد ذلك متحققا فيما وظّفه صاحب قصّتنا (مدونة الدراسة)، إذ نلاحظ شخصياته تنبض بالحياة في مواضعها التي وظّفت فيها، وهنا تكمن براعة المؤلف وقدرته على هذا التوظيف إذ أن « براعة السرد تكمن في قدرة الكاتب على تصوير المشاهد تصويرا بارعا، حتى تصير كأنّ القارئ يراها ويسمع أصوات شخوصها ويكاد يغمس في بوتقة أحداثها »⁽¹⁰⁾، على الرغم من أنّها آتية من حقب تاريخية بعيدة لوطن الجزائر، ونلمس ذلك أثناء استعراضنا لهذه الشخصيات وفقا لظهورها في القصّة كما يأتي :

1 . طبيعة الشخصيات :

الجنرال بيجو :

- وهو قائد الأعداء الطامعين في القلعة الحصينة، ويصفه صاحب النص بالسفّاح، تشويها لصورته في عين القارئ، ذلك لموافقة هذا الوصف لما عرفت به هذه الشخصية في تاريخ الجزائر الاستعماري، من أنّ هذا الجنرال قد ارتكب الكثير من الجرائم في حق الشعب الجزائري، وهو ما بقي أثره باديا في نفوس أفراد هذا الشعب إلى زمن ليس بالبعيد عنّا .
واسم هذا الجنرال وغيره يبقى شاهدا على شراسة هذا المستعمر وقلة ضميره وإجرامه في حق أهل بلد يسمّى الجزائر، استبسل وضحى بالغالي والنفيس في سبيل تحقيق حريته .

- الحفيدين يعرب ومازيغ :

وهما حفيدي الجد إبراهيم صاحب القلعة الحصينة، وهما من غادرا القلعة يحملان كنز الكنوز لإيصاله لمن يحفظه على الدوام، ويعرب نسبة إلى العرب، ومازيغ نسبة إلى الأمازيغ، وهما أساسين مهمّين لتشكيل المجتمع الجزائري عبر عصور التاريخ المختلفة وحقبه المتتالية، وفق معطيات حدّدتها ظروف تلك الفترات .

ووجودهما أخوين رمز لوحدة المجتمع والتآخي بين أفرادهما، وهما معا يبذلان الجهد في المحافظة على كنز الكنوز، وفي ذلك دعوة صريحة لضرورة التماسك بين أفراد هذا الشعب والمحافظة على ما جمعهم ووحدتهم بعد أن كانوا أغراب لا يربطهم رابط .

- الشيخ صنهاج بن هلال :

ويمثل في القصة صاحب الكوخ في الغابة الكثيفة، الذي كان أول ملجأ للحفيدين يعرب ومازيغ، وهو من ساعدهما في التوجه إلى واحة الجنوب، واسم الشيخ يعيد للذاكرة اسم قبيلة صنهاجة العظيمة، « وهي من قبائل الأمازيغ البرانس، وهي أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده، بحيث لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جيل أو بسيط، وقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم الأمازيغ، وهم من ناحية النسب ينتمون إلى ولد صنهاج بن برنس بن بر، وأما بطون صنهاجة فكثيرة نقلها بعض نسابة الأمازيغ في كتبهم وذكر آخرون من مؤرخي الأمازيغ أن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطنا، صنهاجة ليست قبيلة فحسب، بل كانت شعبا عظيما ، وكانت بطون صنهاجة في الواقع تنتشر بإقليم الجزائر في ما بين المسيلة وتترى وميله » (11) .

فالشيخ صنهاج إذن عظيم من عظماء الجزائر، اقترن اسمه في القصة بلقب عظيم آخر هو هلال (صنهاج بن هلال)، وفي ذلك عودة جديدة إلى بني هلال والتغريبة الهلالية، وتروي السيرة الهلالية « مراحل تغريبة بني هلال، وانتقالهم من نجد في الجزيرة العربية إلى صعيد مصر، ومنه إلى بلدان شمالي إفريقيا، وحوادث هذا الانتقال، ووقائع الحرب بين الهلاليين ومن دخل معهم إلى بلاد المغرب ومن كان في هذه البلاد من قبائل صنهاجة ووزناتة الأمازيغية » (12) .

واسم هذه الشخصية رمز جديد ووجه آخر لوحدة هذا الشعب ووحدة مصيره، والحث على التضحية من أجله وفي سبيله بأعلى الأثمان، حث على حفظ الوطن والتضحية من أجل سلامته ورعايته من كل ما يضره أو يصيبه بأذى أو يمكن أن يهدد وحدته .

والحبّ الواجب توفره بين عنصري المجتمع في ما يمثله اسم (صنهاج بن هلال)، والمكوّن من العرب والأمازيغ، هو حب يتغلّب على ما يمكن أن يشوب تلك العلاقة بين العرب وإخوانهم الأمازيغ أحيانا من توتر وحساسية جرّاء خلافات قد يثيرها غيرهم ممن يناسبهم إيقاع الخلاف وجود الفرقة بينهم لأسباب كثيرة .

- الصبي تاهات :

وهو في القصة الصبي الذي دلّ يعرب ومازيغ إلى شيخ الصحراء، وكان أكثر من ارتوى من علم ومعرفة كنز الكنوز، وهو من رافقهما جزء من الطريق إلى واحة الغرب البعيد، وعرفهما بما يجب فعله تجاه كل ما يعترضهما، وهذا الاسم يحيلنا إلى معلم من معالم الصحراء، بل أعلى قمة في سلسلة الأطلس الصحراوي، وهي قمة "تاهات أتاكور" .

وتاهات معلم مرتبط ببلد الجزائر التاريخ، ورمز شامخ من رموزها التي ترتبط بعراقتها، وتدعو كلّ ابن من أبنائها إلى الافتخار والاعتزاز به، وهو ما جعل صاحب النص القصصي يعطيه صورة الإمام لأبناء واحته والعالم المعلم للأجيال فيها .

- العجوز أم عسكر:

وهي العجوز التي قابلت يعرب ومازيغ عند وصولهما إلى واحة الغرب البعيد، وحكت لهما قصة المجاهد الكبير "الأمير عبد القادر" الذي قاد الرجال الأبطال لمقاومة الأعداء، وهزم الجنرال "بيجو" عدّة مرات، غير أنّهم خدعوه في إحدى المعارك، وتمكّنوا من إيقاعه والقبض عليه،

وأخذه معهم إلى بلاد الثلج والجليد، ولكنّه قبل أن يرحل أوصى والد العجوز أن ينتظرهما، وبعد وفاة الوالد قبل سنوات أوصى ابنته "أم عسكر" بانتظارهما، وهي هنا تطبيقاً لوصيته، وذكرت لهما أنّها الدليل الذي سيقودهما إلى المدينة الخضراء مدينة الشرق العظيم .

واسم "أم عسكر" يحيلنا إلى مدينة معسكر في الغرب الجزائري، وكلّ الدلائل تشير إليها؛ وجودها في واحة الغرب، وارتباطها بشخصية "الأمير عبد القادر"، ذلك أنّ "معسكر" هي المدينة التي كانت نقطة انطلاق الأمير، وهمزة اتصاله برجال المقاومة من أجل هزيمة الأعداء والذود على أرض الوطن، والتي عرفت على مدار التاريخ أنّها مدينته ومنطلق دولته التي خطّط لها وحلم بها وجدّ في سبيل تشييدها، وسعى جاهداً لإقامة صرحها وإعلاء بناءها .

- الأمير عبد القادر - المجاهد الكبير:

وهو لم يظهر بشخصية واضحة في القصة، ولا تميّز بوجود جلي إلا أثناء حديث العجوز "أم عسكر" عن شخصيته الفدّة وشخصه المتفرد، وتصويرها لبطولاته تجاه الأعداء، ومعاركه ضدّ المستعمر الغاشم، وما بذله من غال ونفيس لأجل وطنه الجزائر الذي يحبه كثيراً ويجلّه، ويسعى في سبيل تحرير أرضه وإسعاد شعبه وإعلاء رايته ترفرف عالياً وأبداً .

وهو في الواقع رمزا من رموز التاريخ الجزائري، الذي لا يتكرّر في كلّ زمان ومكان، لذلك هو فخر لكل مواطن شريف يحبّ بلده وشعبه، وقدوة لكل شاب يودّ العيش بكرامة في ظلّ وطن حر مستقلّ يضمن له حقوقاً يتمتّع بها دون اغتصاب ويملي عليه واجبات يمارسها دون إكراه .

- الشاب عبد الحميد:

وظهر في القصة في صورة الشاب الشغوف بالمعرفة والعلم، جعل صاحب النص مكان التقاء يعرب ومازنغ به هو المسجد، لبيان صفة

التدين في شخصه، وذاك ما سيضمن محافظته على كنز الكنوز أمانة لديه، ويصونه عن كل رديء، ويلقنه للمؤمنين المخلصين، فيضمن به الصلاح للأجيال الناشئة في محيطه ومدينته، التي هي صورة مصغرة عن الوطن .

فهو رمز التدين والعلم والمعرفة، وهو ما يرتبط به فعلا في ذهن كل من عرفه أو سمع به أو قرأ عنه، وهو عالم البلاد وشيخها ومعلم أجيالها، وهو في تدينه قدوة تتبّع ومثالا يحتذي لكل فرد مسلم ينتمي إلى وطنه ويعيش بين أبناء شعبه أمته .

2. تصنيف الشخصيات وفق آلية الرمز:

وحضور هذه الشخصيات ينم عن اختيار جادّ لصاحب النص القصصي ذلك « أنّ اختيار أسماء الشخصيات في التوظيف لا يكون اعتباطيا، بل لكونها تحمل شحنة دلالية، تحيل على الموسوعة الثقافية للكاتب بطريقة مباشرة »⁽¹³⁾، كما تحمل شحنة أخرى تظهر في حمل رسالة توجيهية لشخص المتلقي تختار شخصيات التاريخ بما يوافق طبيعة أفكاره والقضايا التي تسترعي اهتمامه .

ويعني ذلك أن أسماء الشخصيات في هذا المتن القصصي لم تأتي اعتباطا، بل اختيرت اختيارا لحمل شحنة دلالية، دعمتها ثقافة صاحب هذا المتن، من أجل حمل دلالات تتضمن معان يودّ موظفها إيصالها إلى متلقيه لتحقيق ردّة فعل معيّنة لديه، تبدأ بالتأثير فيه وتتطور لتصل إلى تطبيق مضامينها وما تدعو إليه، وفق آلية توجيهية ما لسلوكه وتصرفاته .
ويحدّد صلاح فضل في كتابه "نظرية البنائية في النقد الأدبي" آليات اشتغال الرمز في أربع آليات أو ميزات هي⁽¹⁴⁾ :

- خاصيته التشكيلية التصويرية؛ مما يعني موقفا متجها إلى اعتبار الرمز لا في ذاته وإنما في ما يرمز إليه، ذلك أنّ الرمز على

اعتبار هذه الخاصية لا يؤخذ بظاهر معناه ودلالته، إنّما في ما يود صاحبه من خلاله أن يوصل من رسائل ومضامين، لأنّ موظّفه يحاول تشكيّله وفق ما يريده من أفكار، وكأنّه يصبّ فيه معان جديدة تقترن بأهدافه التي يريد تحقيقها إزاء متلقيه .

- قابليته للتلقي؛ أي أنّ هناك شيئا مثاليا غير منظور يتصل بالحس، يتمّ تلقيه بالرمز الذي يجعله موضوعيا، أي ينقله من باب المثال الذي يتصوّر مجردا، إلى باب آخر يدرك فيه حسا ويفهم موضوعا .
- قدرته الذاتية؛ أي أنّ الرمز له طاقة خاصة به منبثقة عنه تميّزه عن الإشارة التي لا حول لها في نفسها، وهي ما يحتويه من آثار نابعة من ذاته، حملها إياه صانعه ووضعه في سبيل إيصال أفكاره ورسائله إلى من يتوجّه إليهم بهذا التوظيف .
- تلقيه كرمز؛ مما يعني أنّ الرمز عميق الجذور اجتماعيا وإنسانيا، ويصبح من الخطأ تصور قيام الرمز ثمّ تقبله بعد ذلك، لأنّ عملية تحوّل الشيء إلى رمز وتقبّله على هذا الأساس تعدّ عملية واحدة لا تتجزأ إلى مراحل، أنّ الرمز يبقى دائما رمزا ويجب أن يفهم كذلك ويعامل على ذلك الأساس، ولا يمكن أن يتحوّل في توظيفه إلى لفظ عادي يؤخذ بما يشير إليه في ظاهر معناه .

وإذا نظرنا إلى هذه الرموز التاريخية الموظّفة في النص القصصي "كنز الكنوز" وأردنا تصنيفها باعتبار هذه الآليات، أو بمعنى آخر استقراء هذه الآليات من شكل توظيفها، وجدنا أنّها تنطبق عليها جميعها، وإذا تتبعناها خاصية بعد الأخرى لاحظنا أنّ :

- خاصية الرمز التشكيلية التصويرية في اعتبار ما يرمز إليه تظهر في وجود شخصيتي يعرب ومازيغ وجعل صاحب النص القصصي إياهما أخوين أو أبناء عمومة لاتصالهما بنفس الجد إبراهيم، وتتضح قيمة هذا الرمز في ما يمثله ذلك من أخوة وقوة اتحاد بين عرقين أساسيين للمجتمع الجزائري، إن في عهد الاستعمار كما هو ماثل في القصة، وإن في مستقبل الأيام في ما أراد صاحب النص توجيه القارئ الطفل إليه .
- وأما عن قابلية التلقي، فهذه الشخصيات الرموز ارتباطا حسيا بالشعور الجزائري في مثالية تصنعها قيمة هؤلاء في النفوس، وذلك يتأتى من أعمال هذه الرموز لخير البلاد والعباد، فصاحب المتن القصصي أراد أن يلقن متلقيه الصغير معنى حب الوطن وقيمة السهر على رعايته ورعاية حقوقه، وهذا ما لا يدرك بالحواس، فهو فوق التصور العادي للطفل الصغير وإدراكه، فعمد إلى توظيف هذه الرموز المقترنة بتاريخ الجزائر، لأنّ الطفل يكون قد سمع عنها في حكايات الآباء والجَدّات، وأدرك شيئا من معانيها، وبذلك يسهل تجسيد ما يريد إيصاله عبر هذه الرموز، ويكون أثر مضامينها أكثر وقع وأقوى تأثير .
- وكون الرمز يمتلك طاقة منبثقة عنه، يتجلى في ما يحركه في نفس المتلقي الصغير لهذا المتن القصصي من علو همّة وقوة عزيمة ورباطة جأش بفعل توظيف يجعل منه بطلا أسطوريا، اكتسى إلى جانب قيمته التاريخية وما يعنيه عند أهل البلد هالة جعلته تاجا فوق الرؤوس لا ينبغي المساس به .
- وأخيرا فإنّ تلقي الرمز بهذه القوة والحساسية المفرطة مردّه ما يرتبط به في عمق المجتمع من جذور وصلات وثيقة، تجعل منه يحمل في توظيفه مضمونا يعبر على هذا العمق، وذلك ما يقوي دلالاته عند

استعماله في توجيه الرسائل وتقويم السلوكات، خاصّة إذا تعلّق الأمر بهذا المتلقّي الصغير، الذي يتهيأ ليكون مواطناً مستقبلاً على وجه الوطنية الصحيح والقويم .

رابعاً. مقاصد المؤلّف "عبد الله لالي" من نص "كنز الكنوز":

إنّ الحديث عن « مقاصد المؤلّف يجعلنا نفترض أنّ المؤلّف هو أوّل من يؤوّل باعتباره يتجاوز المعنى (المادة) القابع مباشرة وراء متواليّة من الأدلّة، أي إنّ المعنى هو ما تمثّله الأدلّة، إلى الدلالة التي تعني العلاقة بين المعنى والشخص أو الوضع أو المتخيّل . وعليه فالمعنى يتميّز بالثبات لأنّه معطى بطريقة شبه نهائية، في حين أنّ الدلالة تتغيّر بحسب الاستعمال لذا فهي مستجدّة، وتخضع لمقاصد المؤلّف سواء كان المخاطب أو المخاطب» (15) .

فالدلالة على هذه الشاكلة ليست هي المعنى، لأنّها ببساطة العلاقة بين الشخص الواضع للمعنى وما يتخيّله أو ما يريده من خطة لإيصال هذا المعنى، أو ما يرسمه صاحب المتن من تخطيط لمعانيه التي يوظّفها في نص ما يريد بها تحقيق غاية أو هدف ما لدى متلق يقصده بذاته لإيصال رسالته إليه وتوجيهه .

إذن فما نريد الحديث عنه في هذا العنصر هو دلالة "كنز الكنوز"، وليس معنى "كنز الكنوز"، لأنّ ما يسوقه عبد الله لالي من أدلّة في هذا النص القصصي له ظاهر وباطن، فأما الظاهر فهو محاولة الجدّ إبراهيم حماية قلعة أجداده والاستعانة بأولاده وأحفاده في سبيل تحقيق ذلك، وكانت مساعدته لحفيديه يعرب ومازيغ في الفرار من القلعة يحملان معهما "كنز الكنوز" مبتعدين به عن عيون الأعداء سبيلاً لتلك الحماية، لأنّه يطمح أن يوصلا الكنز إلى من يمكنه حفظه ومنع الأذى عنه، لئلا

يكون مطمعا لأعدائه وأعداء القلعة، واختياره لحفيديه هذين لم يكن اختيارا عشوائيا، بل كان مقصودا .

وأما الباطن فهو ما تعنيه هذه الرموز ضمن هذا النص القصصي، في ارتباطها ببعضها، وخدمة بعضها لغاية الأخرى، فالقلعة الحصينة هي الجزائر بما تمثله في عيون وقلوب أبنائها البررة ورجالها الأوفياء، وهي محصنة بكل من يحمها ويحميها ويزود في سبيل بقائها وحريتها بالغالي والنفيس، ويدفع المال والنفوس والولد دونها، وتبقى هي واقفة صامدة .

و"كنز الكنوز" هي مقومات الأمة ودليل وحدتها التي أراد المستعمر في رمز "بيجو" أن يستولي عليه، لأنّ هذا الكنز هو (كتاب الله وصحيح البخاري ولسان العرب)، فكتاب الله وسنة رسوله هو ميزان ديننا الحنيف وعنوانه، ولسان العرب هي لغتنا العربية الحبيبة، وفرنسا حاولت فور دخولها بلادنا طمس هذين المقومين، فهدمت المساجد وأحرقتها وبنّت الكنائس، لتهديد وجود الإسلام في الجزائر ونشر المسيحية من خلال حركات التبشير التي جالت البلاد ترغّب الناس في هذا الدين .

وهي من جهة أخرى منعت تعليم اللغة العربية وشجّعت تعليم لغتها الفرنسية، فبنّت المدارس التي تتكفل بذلك، وجاءت بالمعلمين الذين يضمنون هذا التعليم، لأنّ اللغة ليست مفردات يتعلّمها الفرد وينطق بها في مناسباته اليومية، ولكنها حاملة للفكر ومتحدثة عنه، وتشكّل دلالاتها انطلاقا من مرجعيات الأمة الثقافية والاجتماعية والتاريخية والدينية وغيرها، والدين هو الآخر حامل للمعتقد والممارسات، وهو قوام السلوك والتصرفات، وهو ضمان اتزان النفوس وانضباطها، وذلك ما يضمن رقي الأمم وتطورها .

وضمن كلّ ذلك أراد صاحب النص القصصي عبد الله لالي ترسيخ وحدة الشعوب في ضمائر الناشئة من خلال الأخويين يعرب ومازيغ أولا،

ثم باقتران تسمية صنهاج بلقب ابن هلال ثانيا، وفي هذا صهر لمكونات المجتمع الجزائري العرب و الأمازيغ، ومحاولة إذابة الفوارق بينهما في نفوس الأطفال وعقولهم لتحميل الجيل الجديد - أطفال اليوم رجال الغد - مسؤولية الالتحام والارتباط والوحدة في وطن يراه المؤلف في الغد جديدا بعين كلها تفاؤل وسعادة .

ولابدّ أن اختيار هذا الموضوع في قصة تتوجّه للأطفال اختيارا موفقا، لأنّه عادة ما ينجذب الأطفال إلى هذا النوع من القصص، لأمرين متوفرين فيها، أولهما أن القصة قصّة مغامرة جميلة رغم صعوبتها، وثانيهما أن بطلها طفلين يسعيان لتحقيق رغبة جدهما الذي أوكل إليهما هذه المهمة من جهة، وحماية كنز له ما له من القيمة في نفسيهما ونفس شعبيهما .

وغلبة الرمز التاريخي على أسماء شخوص القصة له بعد إفهامي، لما للأسماء التاريخية من تقبّل في نفوس الأطفال وأذهانهم، مما يجعلها دلالتها أكثر وضوحا وجلاء، بالتالي يكون لها كبير القيمة وجميل الأثر، خاصة إذا تعلّق الأمر برجال الوطن وشجاعانه، ومن رسموا أمجاده وشيّدوا بطولاته، كيف لا وفد لقب وطننا ببلاد المليون ونصف المليون شهيد .

خامسا. الخاتمة:

ختاما لهذه المقالة نقول أنّ عبد الله لالي قد وفّق - حسب رأينا طبعا - في اختصار تاريخ الجزائر القديم والحديث في هذه القصة، في عرض بدأه بمغامرة الأخويين يعرب ومازيغ في سبيل كنز الكنوز، وإيصاله إلى من يحفظه ويمنع عنه الأذى عبد الحميد - مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة - مروراً بصنهاج بن هلال، قبيلتي العرب والأمازيغ، وصولاً إلى تاهات عراقية الجنوب وأصالته ثم الأمير عبد القادر أحد أسود الجزائر والمدافع

عنها شرقاً، ورحلة أم عسكر إلى الغرب أين كان الشاب عبد الحمد ينتظر الكنز ليتكفل بحفظه، ونجاة كنز الكنوز هي نجاة لحامله يعرب ومازيغ، لحمة شعب الجزائر ووحدته .

كما أنه نظر بعين متفائلة لكل ما هو آت، لأنه حاول بعرضه هذا بناء جيل جديد متشبع بكل معاني الوطنية والأخوة، جيل له مناعة ضد مطامع الأعداء، ومحبة خاصة لهذا الوطن، بغية صيانة تاريخه وهويته وحفظ مدخراته الثقافية والمادية، جيل مكن قوته كتاب الله وسنة رسوله ولغة قرآنه .

ونقول في الأخير أنّ قصصاً كهذه فيها الكثير من الخير والفائدة، بما تحمله من دلالات ايجابية يسعى صاحبها إلى إيصالها وترسيخ معانيها في نفوس متلقيه من الأطفال، وهي باختصار جميل خير وصية للناشئة في حب الوطن وحفظه .

سادسا : الهوامش :

-
- (1) - عبد الله لالي، أحلام العصفير، قصص للأطفال، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، دط، جويلية 2006م، غلاف المجموعة
- (2) - نفسه، ص 09 – 21 .
- (3) - محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز – قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م، ص 20 .
- (4) - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م، مادة (رمز) .
- (5) - محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز – قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، ص 26، 27 .
- (6) - عبد الله لالي، في أدب الطفل الجزائري – قراءات نقدية جمالية، 2022، ص 12 .
- (7) - فيصل درّاج، الرواية وتأويل التاريخ – نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2004م، ص 09

(8) - نفسه

(9) - نفسه

(10) - عبد الله لالي، في أدب الطفل الجزائري - قراءات نقدية جمالية، ص 12، 13

(11) - فيصل درّاج، الرواية وتأويل التاريخ - نظرية الرواية والرواية العربية، ص 09.

(12) - نفسه

(13) - حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2011م، ص 225.

(14) - صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مهرجان القراءة للجميع، مصر، 2003م، ص 306 نقلا عن محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز - قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، ص 33.

(15) - حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، ص 188.

سابعاً. قائمة المصادر والمراجع:

• الكتب:

- 1 - حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2011م.
- 2 - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، 1994م.
- 3 - عبد الله لالي :
- أحلام العصافير، قصص للأطفال، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، دط، جويلية 2006م.
- في أدب الطفل الجزائري - قراءات نقدية جمالية، 2022.
- 4 - فيصل درّاج، الرواية وتأويل التاريخ - نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2004م.
- 5 - محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز - قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.